# جماليات تقدير الوقت في الحديث النبوي

## دراسة بلاغية

إعـداد الدكتور

**علي بن راشد صالح آل الماجد**

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد- كلية اللغة العربية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- السعودية

## ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار جماليات الأساليب البلاغية في الأحاديث النبوية الشريفة التي تخص ( تقدير الوقت وقياسه ) ، من خلال شرحها والوقوف على مواضع الحسن فيها . بالاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي .

وقد ارتبطت فكرة تقدير الوقت في الأحاديث النبوية بالعقيدة من جهة ، منها الايمان باليوم الآخر ، فكثرت الأحاديث التي تدل قرب قيام الساعة ، والعبادات من جهة **أخرى** كمواقيت الصلاة ، والصيام ، وقيام الليل ، والجهاد في سبيل الله.

وجاء تقسيم المباحث في هذا البحث، بحسب الوسائل التي استخدمت في تقدير الوقت في الحديث النبوي ، حيث اعتمد هذا التقدير على ضرب المثل للتقريب والتوضيح وبيان المقدار وبخاصة ما يتعلق بقرب الساعة ، كما اعتمد على الظواهر الطبيعية لتقسيم الزمان كحركة الشمس والقمر وتعاقب ساعات الليل والنهار ، إضافة إلى تقدير الوقت بأعمال البدن ، كما هو الحال عند العرب ، كمقدار حلب شاة وفواق ناقة ونحر جزور ، وقراءة عدد من آي القرآن .

كان من أبرز الأساليب البلاغية التي وردت لتقدير الوقت ، أسلوب التشبيه، الذي كان من أهم أغراضه بيان مقدار المشبه في القوة والضعف أو الزيادة والنقصان، ثم يليه أسلوب الكناية، والتي تظهر المعنى في صورة حسّية ملموسة ، بدعم الدعوى بالدليل والقضية بالبرهان .

إضافة إلى استعمال التعبير النبوي التقسيم الزمني، باستخدام فنون البديع المختلفة، كالمقابلة والمطابقة والتقسيم .

## Abstract

This study aims to show the aesthetics of rhetorical styles in the honorable prophetic hadiths, which are related to (estimating and measuring time), by explaining them and identifying the good positions in them. Based on the descriptive analytical approach.

The idea of estimating time in prophetic hadiths was linked to faith on the one hand, including faith in the in the Last Day, so many hadiths that indicate the approaching of the Hour, and acts of worship on the other hand, such as the prayer times, fasting, night prayers, and jihad in the way of God.

The division of the chapters in this research came according to the methods or styles that were used in estimating time in the prophetic hadith, as this estimation relied on setting examples for approximation, clarification, and clarification of the quantum, especially with regard to the proximity of the Hour.

This paper also relied on natural phenomena to divide time, such the movement of the sun and moon and the succession of the day and night, in addition to estimating the time with body works, as is the case with the Arabs, such as the time estimation of milking a sheep, hiccups of a camel, slaughtering camels, and reciting a number of verses of the Qur'an.

One of the most prominent rhetorical styles that were used to estimate time was the analogy style, whose most important purpose was to show the amount of the suspect in strength and weakness or increase and decrease of the likened person or thing, followed by the metonymy style,

which shows the meaning in a tangible sensory form, supporting the case with evidence and proof.
In addition to the use of the prophetic expression chronological division, using the different arts of Badi, such as contrasting, matching and division.

## مقدمة

فهذا بحث بعنوان ( جماليات تقدير الوقت في الحديث النبوي )، اخترته لإلقاء الضوء على جانب من جوانب جماليات الأساليب البلاغية، التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم ، في تعليم أمته أصول الدعوة والدين الذي بُعث من أجله ، بطرق بيانية تسبي العقول وترتاح لها النفوس ، بتأييد من الله سبحانه وتعالى .

إن الحديث عن الخصائص الجمالية في الحديث النبوي الشريف؛ معناه البحث في بلاغة الحديث النبوي والكشف عن خصائصه وصفاته البلاغية، وسماته الأسلوبية، وذلك لأن الجمال من أبرز صفات البلاغة، ومن أظهر مميزاتها، فهي تقدم الكلمة والكلام بأسلوب جمالي جامع للفكر ومثير للمشاعر.

والبلاغة كعلم اهتمت منذ نشأتها بالبحث عن الخصائص الجمالية والأسلوبية التي تميزت بها النصوص الأدبية بصفة عامة والقرآن الكريم بصفة خاصة. والحديث النبوي نص أدبي بلغ الذروة من البيان والجمال، ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله. فليس من العجيب أن يوليه العلماء منذ القديم أهمية بالغة، للكشف عن المعالم الجمالية ، في لفظه، ومعناه وصوره وتراكيبه.

وتهدف هذه الدراسة إلى إظهار جماليات الأساليب البلاغية في الأحاديث النبوية الشريفة التي تخص ( تقدير الوقت وقياسه ) ، من خلال شرحها والوقوف على مواضع الحسن فيها . بالاعتماد على **المنهج الوصفي التحليلي** .

وقد ارتبطت فكرة تقدير الوقت في الأحاديث النبوية بالعقيدة **من جهة** ، منها الايمان باليوم الآخر ، فكثرت الأحاديث التي تدل قرب قيام الساعة ، والعبادات من **جهة أخرى** كمواقيت الصلاة ، والصيام ، وقيام الليل ، والجهاد في سبيل الله.

واستخدم النبي محمد عليه الصلاة السلام في تقدير الأوقات وسائل التصوير المختلفة من كناية ، وتشبيه، واستعارة ، إضافة إلى أساليب البديع مثل المقابلة والتقسيم ، وكلها أساليب تعتمد على إبراز المعاني في هيئة مجسمة وصور حية متماسكة .

وبعد استقراء الأحاديث الصحيحة حول الموضوع ، جاءت خطة هذا البحث في ثلاثة مباحث ، مسبوقة بمقدمة ، ومتلوة بخاتمة ، على النحو التالي :

**المبحث الأول : تقدير الوقت بضرب المثل .**

**المبحث الثاني : تقدير الوقت بالظواهر الطبيعية.**

**المبحث الثالث : تقدير الوقت بأعمال البدن .**

## الدراسات السابقة :

لم أقف على دراسة تناولت الموضوع من جانب بلاغيّ، لكن توجد دراستان سابقتان ، هما إلى النحو أقرب منهما للبلاغة ، وهما بعنوان :

١- ألفاظ الزمان في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية ، للباحث محمود محمد البيك ، وهي رسالة دكتوراه مقدمة للجامعة الإسلامية بغزة عام ١٤٣٨هـ.

٢- ألفاظ الزمان في صحيح مسلم دراسة نحوية دلالية ، للباحث صدام محمد إسماعيل ، وهي رسالة ماجستير في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالي بالعراق عام ١٤٣٥هـ .

ختاما أحمد الله تعالى على توفيقه لإتمام هذا البحث، وصلى الله على محمد وآله.

# المبحث الأول

## تقدير الوقت بضرب المثل

تدلُّ الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قرب السَّاعة ودنوها؛ فإن ظهور أكثر أشراط السَّاعة دليل على قربها، وعلى أننا في آخر أيام الدُّنيا : قال الله تعالى : (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ) .[1]

وقال تعالى : ( وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعة تَكُونُ قَرِيبًا ) .[2] .... إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالَّة على قرب نهاية هذا العالم الدنيوي، والانتقال إلى دار أخرى ، ينال فيها كل عامل عمله، إن خيرًا؛ فخير، وإن شرًا؛ فشر .

وقد تعاضدت الأحاديث النبوية الكثيرة في تقدير هذا الوقت المتبقي لقيام الساعة ، بأنه قريب، وأنه ينبغي الاستعداد لهذا اليوم الآخر بالأعمال الصالحات . واستخدمت هذه الأحاديث لهذا التقدير ضرب المثل ،وهو التشبيه الذي يكون الغرض منه (بيان مقدار حال المشبه )..... يتضح ذلك في الشواهد التالية :

**١- يقول النبي صلى الله عليه وسلم : ( بعثت أنا والسَّاعة كهاتين ) ويشير بأصبعيه، فيمدهما .**[3]

في هذا الحديث تعبير عن قرب الساعة عن طريق التشبيه ، الذي كان غرضه تقدير حال المشبه ، وهو القرب ، فالوقت قصير بين بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسم وقيام الساعة ؛ فمن أغراض التشبيه ( بيان مقدار حال المشبه ) .

وفي هذه الحركة والإشارة بالأصابع الواردة في الحديث الشريف دلالة على التلازم والترادف، فكأن الساعة مرادفة لرسالته صلى الله عليه وسلم ، " وقد جنح الرسول الأكرم – صلى الله عليه وسلم – إلى تمثيل هذا المعنى عامدا على ملحظ ( الصمتيات ) ؛ ذلك أن مبلغ الإشارة أبلغ من مبلغ الصوت .. فدلالة الحركة متفقة مع دلالة اللفظ ، واللافت للخاطر أن الراوي حمل الحديث بحركته ونقله لنا بعدا ، فوفّى المعنى حقه في الرواية والنقل "[4].

ومثل هذه الإشارة بالأصابع الواردة في الحديث السابق ، نجدها في أحاديث أخرى للدلالة على القرب ، كما في الحديثين التاليين :

فقد روى سعد بن سهل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :

( **أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى ، وفرّج بينهما شيئاً**) . رواه مسلم [٥]

كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

( **من عال جاريتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين ، وضمّ أصابعه**). رواه مسلم[٦]

الحديثان السابقان يبرزان علاقة التلازم بين النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم ، وعائل الجاريتين في الجنة ، وارتبط المشبه بعنصرين لغويين حسيين ، وارتبط المشبه به بعنصرين غير لغويين حسيين . واعتماد الحديثين على التصوير بهذا الشكل يجعل المتلقي أكثر تجاوباً وتفاعلاً مع النص ، حيث تحوُّل الكلام من النسق المعياري إلى النسق الجمالي يجعله أكثر تأثيرا ، حيث إن التشبيه حالة من حالات المبالغة ، ويُقصد بالمبالغة هنا الأثر الجمالي الذي يحدث إثر تحول القول من التعبير الحقيقي المعياري إلى التعبير العدولي أو الانحرافي الكامن في عنصر التصوير . [٧]

والاعتماد على الإشارة كان له الأثر الفاعل في النص ؛ حيث إن الإشارة منشط يشترك مع منشط آخر من استدعاء الصورة الذهنية .

وهذه الإشارة في نصوص هذه الأحاديث السابقة مثّلت أحد طرفي التشبيه ، وقد تفاعل المشبه به مع الطرف الاخر ( المشبه ) بعناصره اللغوية في استحضار صورة ذهنية لتقدير الوقت لقيام الساعة وأنه قريب ، أو علاقة الدنو في الجنة بين النبي صلى الله عليه وسلم وكافل اليتيم وعائل الجاريتين ، وكذلك انفتح النص لتخيل عالم الآخرة وقربه .

**ولعلي بهذا الاستطراد قد ألقيت بعض الضوء ، على طريقة من طرق الإقناع ، في لغة الأحاديث غير المنطوقة ، والتي اهتم بها الباحثون .**

**٢- عن أبي جبيرة رضي الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:**

**( بعثت في نسم السَّاعة ) .** (٨)

وفي هذا الحديث أيضا تعبير آخر عن قرب الساعة، عن طريق نوع من المجاز ، ألا وهو الاستعارة ، وهي تشبيه مضمر، فهي توحي بهذا التصوير المقدر للوقت الـــذي ستقوم فيه الساعة ، وأنه قريب من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم .

قال الزمخشري في أساس البلاغة :

في الحديث : ( بُعثتُ في نَسَمِ الساعة ) : « في نفسها و أوّلها؛ قال ذو الرمّة:

**بجرعاءَ دَهْناوِيّة التُّرب طيّب بها نَسَمُ الأرواح من كلّ مَنسِم**(٩)

وقد أورد الشريف الرضي هذا الحديث في (المجازات النبوية) وشـــرحه شـــرحا طويلا ، وبين ما فيه من مجاز يقول :

" ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلا : ( بُعثتُ في نَسَم الســـاعة إن كـــادت لتسبقني ). وفي هذا القول استعارة ؛ لأنه عليه السلام كنى عن ابتداء الساعة بالنسم، والنسم والنسيم جميعا اسم لابتداء الريح قبل شدتها ،ومريضة قبل استكمال قوتها . والنسم أيضا : النفوس ، جمعٌ واحده نسمة ، وإنما سميت بذلك لأنهـــا في الأصـــل ضعيفة ، وإنما يشتدّ من جسمها بروافد ترفدها ودعائم تسندها .

وقد روي هذا الخبر على وجه آخر وهو قوله عليه الصلاة والسلام : ( بُعثتُ في نفس الساعة ) . وله معنيان :

(**أحدهما** ) أن يكون : بعثتُ في تنفيس الساعة ، أي في إمهالها وتأخرها ، مـــن قولهم : نفس فلان عن غريمه إذا أنظره ، وأخّر الدين ، بعد أن حان قضاؤه ووجب اقتضاؤه ، فكأنّه عليه الصلاة والسلام قال : بعثتُ وقد حان قيام الساعة إلا أن الله تعالى نفسها ، أي أخرها قليلا ، فبعثني في ذلك النفس.

( والوجه الآخر ) أن يكون جعل للساعة نفسا كنفس الانسان ، وقال بعثتُ في وقت أحسّ فيه بنفسها وقربها كما يحسّ الانسان بنفس الانسان إذا قرُب منه وسمع مجرى نفسه "[١٠] .

وفي كلام الشريف الرضي السابق نجد الاستعارة التصريحية ؛ حيث استعمل (نسم) بدل ابتداء في حديث ( بعثت في نسم الساعة ) .

كما نجد الاستعارة المكنية في الرواية الأخرى للحديث ( بعثت في نفس الساعة ) . فقد جعل للساعة نفسا كنفس الانسان ، أي : بعثتُ في وقت أحسّ فيه بنفسها وقربها كما يحسّ الانسان بنفس الانسان إذا قرُب منه وسمع مجرى نفسه.

ويكون في الكلام على هذا المعنى الأخير استعارة بالكناية حيث شبّه الساعة بإنسان له نفس ، وحذفه ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النفس ، وإثبات النفس للساعة تخييل .

يقول ابن الأثير :

" ( نفس الساعة ) من العبارات العجيبة التي لا يقوم غيرها مقامها، وذلك أن النفس يدل على أن الساعة منه بحيث يحسّ بها كما يحس الانسان من هم إلى جانبه ، ولو قال بعثت على قرب من الساعة ، أو أن الساعة قريبة مني – لما دلّ ذلك على ما دل عليه نفس الساعة، وهذا لا يحتاج إلى الإطالة ؛ لأنه بين واضح" [١١].

ويقول الرافعي في هذا الحديث :

"يريد أنه بعث والساعة قريبة منه ، فوصف ذلك باللفظة التي تدلّ على أدقّ معاني الحس بالشيء القريب وهو النفس ، كما يحسّ الانسان من هو بإزائه ، وذلك لا يكون إلا على شدة القرب "[١٢] .

**٣- عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ، قال: نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أّثر في جنبه، قلنا: يا رسول الله، لو اتخذنا لك وِطاءً؟ فقال:**

**(ما لي وللدنيا؟، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها)** . رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(١٣).

وهذا التَّشبيهُ مِن النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّم يُصوِّرُ حياةَ المسلِمِ في الدُّنيا كعابرِ السَّبيلِ الَّذي يُريدُ أن يَبلُغَ آخِرتَه بأمانٍ وفي غيرِ تَباطُؤٍ مِنه؛ لِيتنَعَّمَ بما في الدُّنيا على ما له في الآخرةِ. وهذا إرشادٌ مِن النَّبيِّ صلَّى اللهُ علَيْه وسلَّم إلى عَدمِ الاشتِغالِ بالدُّنيا ومَلذَّاتِها، وأنَّه يَنبغي الاشتِغالُ بالآخرةِ؛ لأنَّها دارُ القرارِ، وحَثٌّ على تَرْكِ لَهْوِ الدُّنيا ومَتاعِها، وألَّا يَكونَ الانشِغالُ إلَّا بالآخِرَةِ .

وفي الحديثِ: بيانُ ما كان عليه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم مِن الزُّهدِ في الدُّنيا مع قُدرتِه على التمتُّعِ بها لو أَرادَ.

وما أجمل تصوير القرآن الكريم لهذه الحياة الفانية حيث قال المولى عز وجل: (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ۖ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۚ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ) (١٤).

وقد حرص صلى الله عليه وسلم على ضرب المثل في الأحداث والمواقف المتعددة لأهداف تربوية ، ففي بعض المواقف كان يكفيه صلى الله عليه وسلم أن يرد رداً مباشراً ، لكنه آثر ضرب المثل لما يحمله من توجيه تربوي وسرعة في إيصال المعنى المراد وتقريبه .

**قال الطيبي عن التشبيه في الحديث :**

"وهو من التشبيه التمثيلي ، وهو التشبيه بسرعة الرحيل ، وقلة المكث "(١٥).

والتمثيلي يؤخذ من أشياء متعددة ، وهنا يكمن تقدير الوقت في الحديث، فالمكث في الحياة الدنيا سريع وقصير وقته، فمجيء الانسان للدنيا ورحيله عنها مثل وصول هذا الراكب للشجرة واستضلاله تحتها ، ثم لا يلبث أن يرحل ويتركها .

**٤- عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : أخذ رسول الله ﷺ بمنكبيّ ، فقال : ( كن في الدنيا كأنّك غريب أو عابر سبيل ) .** رواه الترمذي[١٦]

في هذا الحديث يريد أن يكون المرء في هذه الدنيا كالغريب، مهما طالت إقامته في البلد الذي اغترب فيه؛ لأنه ليس من أهله، وسيعود يوماً إلى بلده ويتركه ، فالمخاطب هو المشبه ، والغريب هو المشبه به ، وأردف أسلوب التشبيه بآخر مثله ، وهو قوله : ( أو عابر سبيل ) ، فالمشبه المخاطب نفسه ، والمشبه به عابر سبيل، فالتشبيه يسميه البلاغيون تشبيه الجمع لتعدد المشبه به دون المشبه .

قال الطيبي :

" ليست (أو) للشك بل للتخيير والإباحة ، والأحسن أن تكون بمعنى بل ، فشبّه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكنٌ يأويه ولا مسكن يُسكنه ، ثمّ ترقّى وأضرب عنه إلى عابر سبيل ؛ لأن الغريب قد يسكن في بلد الغربة بخلاف عابر السبيل القاصد "[١٧] .

ومثل هذه التشبيهات التي فيها شيء من التفصيل تكون في الدرجة العالية من البلاغة ؛ فالتفاصيل تزيد من بلاغة التشبيه وهي من أسباب غرابته وجدته[١٨].

وقد أُعجب عبد القاهر الجرجاني بمثل هذا التشبيه فقال :

" جملة القول أنّك متى زدت في التشبيه على مراعاة وصف واحد أو جهة واحدة ، فقد دخلت في التفصيل والتركيب ، وفتحت باب التفاضل ، ثم تختلف المنازل في الفضل بحسب الصورة في استنفادك قوة الاستقصاء أو رضاك بالعفو دون الجهد "[١٩] .

**٥- روي موقوفا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال :**

**( من في الدنيا ضيف ، وما في يديه عاريّة ، والضيف مرتحل ، والعاريّة مؤداة)** [٢٠].

وهنا نجد التشبيه المقدر لقصر مدة مكوث الانسان في الدنيا، وأنه راحل لا محالة تاركا ما خُوّل من متاع ...

وقد احتفى عبد القاهر الجرجاني بمثل هذا التشبيه، في فصل من فصول كتابه (أسرار البلاغة) ، فقد استهلّه ببيان فائدة الكلام مع المثل بانه أقرب إلى الفهم ، وأسرع إلى النفوس ، ثم قال عن روعة المثل في كلام النبي صلى الله عليه وسلّم : "وإن أردت اعتبار ذلك في الفن الذي هو أكرم وأشرف ، فقابل بين أن تقول : ( إن الذي يعظ ولا يتعظ ، يضر بنفسه من حيث ينفع غيره ) ، وتقتصر عليه ، وبين أن تذكر المثل فيه على ما جاء في الخبر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( مثل الذي يعلم الخير ولا يعمل به ، مثل السراج الذي يضيء للناس ، ويحرق نفسه ) .. وكذا بين أن تقول : ( الدنيا لا تدوم ولا تبقى ) ، وبين أن تقول : هي ظل زائل ، وعارية تسترد ، ووديعة تسترجع ) ، وتذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( من في الدنيا ضيف وما في يديه عارية ، والضيف مرتحل ، والعاريّة مؤدّاة) "[٢١] .

**٦- وعن أَنسٍ رضي الله عنه : أَنَّ أَعرابيًّا قَالَ لرسول اللَّه ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: ( مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟ ) قَالَ: حُبُّ اللَّهِ ورسولِهِ، قَالَ: ( أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ ) . متفقٌ عَلَيهِ، وهذا لفظ مسلمٍ[٢٢].**

**أختم هذا المبحث وأُلحق به** هذا الحديث الذي جاء فيه (أسلوب الحكيم) ، حيث جاء جواب الرسول صلى الله عليه وسلم للسائل عن وقت الساعة ، وتقديره بغير ما كان يتوقع ؛ إذ كان جوابه عليه الصلاة والسلام غير مطابق للسؤال ، وكان فيه إرشاد لما هو الأولى والأجدر .

قال الكرماني في شرح الحديث :

" فإن قلت : كيف طابق ( ما أعددت لها ) للسؤال ؟ قلت : سلك مع السائل طريق الأسلوب الحكيم ، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمّه"[٢٣].

فأسلوب الحكيم إلى جانب كونه أسلوباً بلاغيا بديعاً ، فهو من الأساليب التعليمية التي تستخدم في موطن إجابة السائل عما يكون هو الأولى والمهم له ، وإن كان هذا غير ما يترقب من سؤاله .

فالسائل يسأل عن تقدير زمن قيام الساعة ، بدليل استخدامه لأداة الاستفهام ( متى ) التي يُسأل بها عن الزمان ، ولكن الإجابة جاءت بطريق غير الذي ينتظره ؛ فالإجابة تبيّن أن الناس كلهم في وقت الساعة سواء ، وكلهم غير عالمين به على الحقيقة .

يقول ابن حجر حول بلاغة الأسلوب الحكيم هنا :

" مقصود هذا السؤال كف السامعين عن هذا السؤال عن وقت الساعة ؛ لأنهم قد أكثروا السؤال عنها كما ورد في كثير من الآيات والأحاديث ، فلما حصل الجواب بما ذُكر هنا حصل اليأس من معرفتها "[٢٤] .

## المبحث الثاني

## تقدير الوقت بالظواهر الطبيعية

**من أهم ما يعتمد عليه في تقدير الأوقات ، ما يكون بالظواهر الطبيعية من حركة الشمس والقمر والنجوم .. وكان لهذه الطريقة لتقدير الوقت حضور قوي في الأحاديث الشريفة ، كما يتضح في الأحاديث التالية :**

١- عَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: ( وَأَتَاهُ سَائِلٌ يَسْأَلُهُ عَنْ مَوَاقِيتِ الصَّلَاةِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، وَأَمَرَ بِلَالًا فَأَقَامَ الْفَجْرَ حِينَ انْشَقَّ الْفَجْرُ، وَالنَّاسُ لَا يَكَادُ يَعْرِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الظُّهْرَ حِينَ زَالَت الشَّمْسُ، وَالْقَائِلُ يَقُولُ: انْتَصَفَ النَّهَارُ أَوْ لَمْ؟ وَكَانَ أَعْلَمَ مِنْهُمْ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْمَغْرِبَ حِينَ وَقَبَت الشَّمْسُ، ثُمَّ أَمَرَهُ فَأَقَامَ الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ أَخَّرَ الْفَجْرَ مِنَ الْغَدِ حَتَّى انْصَرَفَ مِنْهَا وَالْقَائِلُ يَقُولُ: طَلَعَت الشَّمْسُ أَوْ كَادَتْ، وَأَخَّرَ الظُّهْرَ حَتَّى كَانَ قَرِيبًا مِنْ وَقْتِ الْعَصْرِ بِالْأَمْسِ، ثُمَّ أَخَّرَ الْعَصْرَ، فَانْصَرَفَ مِنْهَا وَالْقَائِلُ يَقُولُ: احْمَرَّتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ أَخَّرَ الْمَغْرِبَ حَتَّى كَانَ سُقُوط الشَّفَقِ -وَفِي لَفْظٍ: فَصَلَّى الْمَغْرِبَ قَبْلَ أَنْ يَغِيبَ الشَّفَقُ- وَأَخَّرَ الْعِشَاءَ حَتَّى كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ، ثُمَّ أَصْبَحَ فَدَعَا السَّائِلَ فَقَالَ :الْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هَذَيْنِ ) . رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَمُسْلِمٌ، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيُّ.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز في موقعه على شبكة الانترنت :

وقد اتَّضح بذلك أنَّ الصلاة لها وقتان: أول وآخر، فالظهر من حين تزول الشمس، وآخره إلى دخول وقت العصر، والعصر كذلك حين يصير ظلُّ كل شيءٍ مثله -هذا أول بعد فيء الزوال- ثم يستمر إلى أن تصفرَّ الشمسُ، وليس له التأخير إلى أن تصفرَّ الشمسُ، وهو ضرورة إلى أن تغيب الشمسُ إذا اضطرَّ إلى ذلك، فإنه إذا صلَّاها في هذا الوقت -وقت الاصفرار- يكون قد صلَّاها في الوقت، لكن قد أساء في ذلك، وهكذا المغرب: إذا غابت الشمسُ هذا أوله، وله أن يُؤخِّر حتى يُصليها قبل غروب

الشَّفق، ولكنه خلاف السنة، وخلاف الأفضل، وهكذا العشاء: إذا غاب الشَّفق إلى نصف الليل، وما بعد نصف الليل وقت ضرورةٍ إلى طلوع الفجر، وهكذا الفجر: من طلوع الفجر إلى أن تطلع الشمسُ، والأفضل فيه التَّبكير، وإن أخَّره حتى أسفر فلا بأس، ولهذا صلَّى النبيُّ ﷺ في الوقت الثاني في اليوم الثاني قبل أن تطلع الشمسُ بعدما أسفر، حتى قالوا: "كادت تطلع الشمس"؛ ليُبين حدود الأوقات عليه الصلاة والسلام، وقال: الصلاة بين هذين الوقتين .

وفي هذا الحديث تقدير أوقات الصلوات بالفعل اعتمادا على الظواهر الطبيعية ؛ فإنه ﷺ بيَّن بالفعل ، ثم **أكَّدها** بالقول عليه الصلاة والسلام.

وقد اعتمد في هذه الطريقة التعليمية على النسق غير اللغوي بشكل رئيس ، وفي مثل هذه الحالة يكون المحسوس المادي / غير اللفظي أنجع تأثيراً في المتلقي من المجرد اللفظي .

**٢–عن جَرِيرِ بنِ عبدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْه، قال: كنَّا مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فنَظَرَ إلى القمرِ ليلةً – يعني: البدرَ – فقال:**

**(إنَّكم ستَرَوْنَ ربَّكم كما تَرَوْنَ هذا القمرَ، لا تُضامُونَ في رُؤيتِه؛ فإنِ استطعتُم أنْ لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبلَ طُلوعِ الشَّمسِ، وقبلَ غُروبِها فافْعلوا، ثم قرأ :(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ )** [٢٥] . متفق عليه

**يوضّح الحديث عن آخِرُ وقتِ صلاة الفَجرِ** ، فالفجر يَمتدُّ وقتُه اختيارًا إلى طلوعِ الشَّمسِ، وهذا مذهب الحنفيَّة، والحنابلة، والصحيح من قول مالكٍ، وهو قولُ جمهورِ العلماء من السَّلف والخلف واختارَه ابنُ تيميَّة، وابنُ باز، وابنُ عُثَيمين [٢٦].

ومن جماليات البلاغة في هذا الحديث ما يلي :

١– ما ورد في الحديث من تشبيه بديع ، في قوله : (**إنَّكم ستَرَوْنَ ربَّكم كما تَرَوْنَ هذا القمرَ، لا تُضامُونَ في رُؤيتِه ..**) .

فقد استغل النبي صلى الله عليه وسلم ، هذا المنظر الرائع للقمر ليلة البدر؛ لترسيخ أمور العقيدة والإيمان ..

والتشبيه هنا للرؤية بالرؤية؛ لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الكاف دخلت على الفعل الذي يؤول إلى مصدر، ومعلوم أننا نرى الشمس والقمر عياناً ومواجهة ، فيجب أن نراه كذلك [٢٧].

ومعلوم أن رؤية اللّه سبحانه وتعالى ممكنة، غير مستحيلة عقلا، وأجمع أهل السنة على وقوعها في الآخرة، وأن المؤمنين يرون اللّه سبحانه وتعالى دون الكافرين .

٢- ما فيه من تناسب بين المعاني ، والذي يسميه البلاغيون ( مراعاة النظير ) ، وهو فن من فنون البديع . فظهور القمر ليلة البدر وطلوع الشمس وغروبها ، من الأمور التي تزيد في تناسب بين المعاني في هذا الحديث .

٣-عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْها، قالت : (كُنَّ نِساءُ المؤمناتِ يَشهدْنَ مع رسولِ الله ﷺ صلاةَ الفجرِ متلفِّعاتٍ بمُروطِهنَّ، ثم يَنقلِبْنَ إلى بيوتهنَّ حين يَقضِينَ الصَّلاةَ، لا يعرفهنَّ أحدٌ من الغَلَسِ ) . رواه البخاري ومسلم

في هذا الحديث تقدير لوقت الفجر ، وأنها تُصلّى بغلَس ، أي يُبادر بها قبل الإسفار ، فالغلس هو اختلاط ضياء الصبح بظلمة الليل .

ففي هذا الحديث **كناية** عن التبكير بصلاة الفجر ، وأنها تصلى في أول وقتها؛ خصوصا وأن الصلاة في هذا الوقت يناسب طول القراءة ، الذي ثبت من هدي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في صلاة الفجر .

وقول عائشة رضي الله عنها : (متلفعات بمروطهن، )، فيه دلالة على مدى الحشمة والستر الذي كان عليه نساء الصحابة رضوان الله عليهم .

والمروط :أكسية معلمة تكون من خز وتكون من صوف ، ومتلفعات : متلفحات.

٤- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :

(مَنْ اغْتَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ رَاحَ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الْخَامِسَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً ، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ حَضَرَتِ الْمَلائِكَةُ يَسْمَعُونَ الذِّكْرَ ) . رواه البخاري ومسلم

والحديث يقسم وقت الرواح للجمعة أوقاتاً خمسة، وسماها ساعات، على معنى التشبيه والتقريب، كما يقول القائل : قعدت ساعة ، وتحدثت ساعة ونحوه ، يريد جزءاً من الزمان غير معلوم، وهذا على سعة مجاز الكلام وعادة الناس في الاستعمال ، أي ليس ساعة بالضبط في عدد دقائقها الستين ، ولكنه على التشبيه والتقريب(٢٨).

وقد اخْتَلف العلماء في المراد بهذه الساعات : أهي من أول النهار ، أو بعد زوال الشمس؟ ويُمكن حَمْله على فضل التبكير عموما ، أي : أن السابق إلى الجمعة أفضل .

والذي يهمنا هنا فن (التقسيم ) الذي ورد في الحديث ، ولضمان صحة التقسيم جاء أسلوب التدرج في هذا التقسيم ، من الأكبر إلى الأصغر في الأجر.

ويعرف التقسيم عند البلاغيين بأنه " استيفاء المتكلم أقسام الشيء ، بحيث لا يغادر شيئا" (٢٩).

ومكانته من الفن القولي لا تخفى ، فله موقع في الفصاحة لا يمكن جحده ولا يسع إنكاره.

فيبدو أن ميل النفوس إلى التقسيم ؛ لأنسها بالانتظام والتبويب الذين هما أساس هذا الفن البديعي، واستعماله يشير إلى تنامي الفكر ، كونه يستدعي نوعا من الروية في حصر الفكرة بفقر منتظمة تستوفي جهاتها كلها، ولذلك كان وسيلة أثيرة في التعبير النبوي ..

٥-عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَاهُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**) . رواه البخاري[٣٠]

قوله: (فقد أفطر الصائم)؛ أي: دخل في وقت الفطر وهو لفظ خبر، ومعناه الأمر.

وقد لا يكون هذا الخبر معناه الأمر، فقوله : ( فقد أفطر الصائم ) ، يعني حكما يعني دخل وقته، قد أفطر حكما وإن لم يأكل ، فقد زال حكم الصيام[٣١].

مما يستفاد من هذا الحديث استحباب تعجيل الفطر ، إذا تحقق غروب قرص الشمس برؤية أو خبر ثقة... قال الحافظ ابن حجر:

"وفي هذ الحديث من الفوائد: بيان وقت الصوم، وأن الغروب متى تحقق كفى، وفيه إيماء إلى الزجر عن متابعة أهل الكتاب، فإنهم يؤخرون الفطر عن الغروب.."[٣٢].

والحديث الشريف هنا يجعل بعض الأمارات ، لتقدير وقت الصيام وتحديد نهايته بهذه الظاهرة الطبيعية . فإذا غربت الشمس أفطر الصائم . وهو تفسير لقول الله تعالى :﴿ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾؛[٣٣] ذلك أن الليل يدخل بغروب الشمس.

وقد كان للتقابل والتناسب بين (أقبل الليل ) و( أدبر النهار ) ، أثر جمالي في الحديث ، فبضدها تتميز الأشياء ، والغرض توضيح موعد إفطار الصائم .

وهنا زيادتان مفيدتان يقتضيهما المقام في الحديث :

أولهما : قوله:( **وغربت الشمس** ) ، تأكيد على أن المعتبر غروب قرص الشمس، فليس الصيام إلى غسق الليل ، كما يقول العلماء .

وثانيهما : قوله : ( **من ههنا ... من ههنا** ) وأشار إلى المشرق والمغرب ، فيه تأكيد – والله أعلم – على اعتبار المنطقة الزمنية التي يتواجد فيها الصائم ؛ فالتوقيت يختلف من بلد لآخر .

## المبحث الثالث

## تقدير الوقت بأعمال البدن

يعتاد الناس اليوم ضبط أعمالهم وأطوال نشاطاتهم ومُددَ دواماتهم، بالساعة وأجزائها من الدقيقة والثانية.. وبخاصة مع التطور التقني.. غير أن الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانت لهم ساعة من نوع آخر.. يقيسون بها الأوقات ويقدِّرون بها النشاطات.. فما هي هذه الساعة العجيبة ؟!

فبعد أن كانت بيئتهم العربية تقدّر الوقت بما يستغرق يومياتها أو يملأ حياتها من شاءٍ وبعير، فكانوا يقولون مثلا: مكث قدر حلب شاة، أو قدر نحر جزور أو فواق ناقةٍ... كما نقول نحن اليوم، مكثت ساعة أو ربع ساعة أو نحو ذلك..

فكان للصحابة شأن آخر في تقدير الزمن، إنها ساعة دقائقها وثوانيها آيات القرآن الكريم !! ذلك أن القرآن ملأ حياتهم وشغل فكرهم، وضبط بالساعة القرآنية تصرفاتهم، فكان الواحد منهم يجتهد في أن يكون قرآنا يمشي على الأرض.. كما كان القدوة الأعظم صلى الله عليه وسلم، كما وصفته عائشة رضي الله العظيم لما سئلت عن خُلقه، قالت:(إن خلق نبي الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن) . رواه مسلم[٣٤] .

هذا التعلق بالقرآن والتخلق به، وجريانه منهم مجرى الدم والنّفَس، جعلهم يخترعون منه ساعة يقدرون بها أزمنتهم...

**فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن نبي الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن ثابت: ( تسحرا فلما فرغا من سحورهما، قام نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة، فصلى )، قلنا لأنس: كم كان بين فراغهما من سحورهما ودخولهما في الصلاة؟ قال: ( قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية ) . رواه البخاري**[٣٥]

قال ابن حجر:

"قال المهلب وغيره: فيه تقدير الأوقات بأعمال البدن، وكانت العرب تُقدر الأوقات بالأعمال؛ كقولهم: قدْر حلب شاة، وقدر نحر جزور. فعدَل زيد بن ثابت عن ذلك إلى التقدير بالقراءة؛ إشارة إلى أن ذلك الوقت كان وقت العبادة بالتلاوة".

قلت: بل ولأن القرآن ملأ حياتهم، وضُبطت عليه مشاعرهم. وهذا التقدير بالآيات محزورا كما عندنا بالدقائق..

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" لكن قرأتها فبلغت نحو ست دقائق "[٣٦] .

و قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله:

"خمسون آية متأنية مرتلة نحو خمس دقائق أو سبع دقائق إلى عشر دقائق "[٣٧].

وهذه عائشة رضي الله عنها تتخذ الساعة نفسها؛ **فعنها: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي إحدى عشرة ركعة، كانت تلك صلاته – تعني بالليل – فيسجد السجدة من ذلك قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه، ويركع ركعتين قبل صلاة الفجر،ثم يضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للصلاة** ). رواه البخاري[٣٨]

**وعنها رضي الله عنها، قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ وهو قاعد، فإذا أراد أن يركع قام قدر ما يقرأ إنسان أربعين آية»** .رواه مسلم [٣٩]

وهذا التفريق في التقدير يدل على أن قولهم قدر الخمسين وقدر الأربعين أو العشر آيات ونحوها، ليس لمجرد التكثير والتقليل، وإنما يدل على الدقة في التقدير والتدقيق والحساب، فكانت هذه مُددا معروفة في أذهانهم متعارفًا عليها بينهم.

وهكذا نجد التشبيه الذي غرضه بيان مقدار المشبه بارز في هذه المواضع ، والتشبيه يكثر في القرآن وفي الحديث وفي كلام العرب لما له من ميزة التوضيح والتقريب وبيان المقدار ...

**وقد يكون للصحابة رضي الله عنهم تقدير آخر للوقت بعاداتهم وأعمالهم اليومية ، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال:**

**( ما كُنّا نقيلُ ولا نتغدّى إلاّ بعدَ الجُمعة)** .متفق عليه

وفي هذا الكلام تقدير للزمان، وتوقيت لصلاة الجمعة ، وقد جاءت الصورة الحسية مرتبطة بأمر ملموس . يقول الملاّ علي القاري في شرح الحديث:

" القيلولة هي الاستراحة نصف النهار، وإن لم يكن مع ذلك يوم بدليل قوله تعالى: { وأحسنُ مقيلا}[٤٠] ، والجنة لا نوم فيها، والغداء : هو الطعام الذي يؤكل أول النهار..

قال الطيبي : قوله ( ما كنا نقيل ولا نتغدى) هما كنايتان عن التبكير أي: لا يتغدون ولا يستريحون ولا يشتغلون بمهم، ولا يهتمون بأمر سواه".[٤١] .

**وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : (أنَ رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُصَلِّي العَصْرَ والشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ حَيَّةٌ، فَيَذْهَبُ الذّاهِبُ إلى العَوالِي، فَيَأْتِيهِمْ والشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ. وبَعْضُ العَوالِي مِنَ المَدِينَةِ علَى أرْبَعَةِ أمْيالٍ أوْ نَحْوِهِ ).** رواه البخاري ومسلم [٤٢]

كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ شَديدَ الحِرصِ في أمْرِ الصَّلاةِ، ومِن ذلك أنه كان حَريصًا على تَعليمِ أصحابِه أوَّلَ وَقتِ كُلِّ صَلاةٍ مِنَ الصَّلواتِ الخَمسِ، وآخِرَه. وفي هذا الحَديثِ يَذكُرُ الصَّحابيُّ الجَليلُ أَنَسُ بنُ مالِكٍ رَضيَ اللهُ عنه أنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كانَ يُصَلِّي العَصرَ والشَّمسُ مُرتَفِعةٌ حَيَّةٌ، والمقصودُ صَفاءُ لَونِها قَبلَ أنْ تَصفَرَّ أو تَتغيَّرَ، وأوَّلُ وَقتِ العَصرِ -كما جاء في الرِّواياتِ- إذا كانتِ الشَّمسُ في السَّماءِ، وكان طُولُ الظِّلِّ ضِعفَ الحَجمِ الطَّبيعيِّ. فإذا ذَهبَ الذَّاهبُ إلى «العَوالي» بَعدَ الانتِهاءِ مِن صَلاةِ العَصرِ مع النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فيَأتيهم والشَّمسُ مُرتَفِعةٌ، وهذا الارتِفاعُ أدْنى مِنَ الارتِفاعِ السَّابِقِ، والعَوالي: هي القُرى والبُيوتُ المُجتَمِعةُ حَولَ المَدينةِ مِن جِهةِ نَجْدٍ، وبَعضُها تَبعُدُ أربَعةَ أميالٍ، أو نَحوَ

ذلِك -أيْ: سِتَّةَ كيلومِتراتٍ تَقريبًا- عَنِ المَدينةِ، وفي هَذا كناية عن التَّبكيرِ بصَلاةِ العَصرِ فَورَ دُخولِ وَقتِها.

**على أن البيئة التي كان فيها، وعاش فيها النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليه، كانت بيئة عربية ، وكانت العرب يقدرون الأوقات بأعمال البدن ، قدر حلب شاة ، وقدر نحر جزور ، وفواق ناقة ، ونحو ذلك .**

**وقد جاء هذا التقدير للوقت في أحاديث كثيرة في مجال العبادات ، من ذلك :**

**عن رافع بن خديج رضي الله عنه ، قال ( كُنَّا نُصَلِّي مع النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ العَصْرَ، فَنَنْحَرُ جَزُورًا، فَتُقْسَمُ عَشْرَ قِسَمٍ، فَنَأْكُلُ لَحْمًا نَضِيجًا قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ). رواه البخاري(٤٣)**

جَعَل اللهُ تعالَى للصَّلاةِ أوقاتًا مُحدَّدةً لا بدَّ مِن مُراعاتِها، وإقامةُ الصَّلاةِ في أوَّلِ وقْتِها مِن أفضلِ الأعمالِ.

وفي هذا الحَديثِ يُخبِرُ رافعُ بنُ خَدِيجٍ رَضِيَ اللهُ عَنْه أنَّهم كانوا يُصَلُّون مع النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ العَصْرَ، فكانوا يَنْصرِفون مِن الصَّلاةِ ويَذْبَحون جَزورًا، وهو: الواحِدُ من الإبلِ ذَكرًا كان أو أُنْثى، وتُجزَّأُ تلك الجَزورُ عَشَرَةَ أجْزاءٍ، ثُمَّ يُطبَخُ مِنها حتَّى تَصْلُحَ للأكلِ، فيَأْكُلون منها لَحْمًا مَطبوخًا قَبْل أنْ تَغْرُبَ الشَّمسُ، وفي هذا إشارةٌ إلى أنَّ الصَّلاةَ كانتْ في أوَّلِ الوَقْتِ. قيل: ولَعلَّ ذلك كان في أَوْقاتِ الصَّيفِ، حيثُ يَطولُ النَّهارُ.

وهنا جاء تقدير الوقت **بتشبيهه تشبيهاً ضمنيا** ، بمقدار نحر الجزور وتقسيمه وطبخه ، كعادة العرب في التقدير ...

ومثل هذا الحديث الذي فيه تقدير الوقت بمقدار نحر الجزور، **ما رواه أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه ، أَنَّهُ قالَ:**

**( صَلَّى لَنَا رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ العَصْرَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَاهُ رَجُلٌ مِن بَنِي سَلَمَةَ، فَقالَ: يا رَسولَ اللهِ، إنَّا نُرِيدُ أَنْ نَنْحَرَ جَزُورًا لَنَا، وَنَحْنُ نُحِبُّ أَنْ**

**تَحْضُرَهَا، قالَ: نَعَمْ، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْنَا معهُ، فَوَجَدْنَا الجَزُورَ لَمْ تُنْحَرْ، فَنُحِرَتْ، ثُمَّ قُطِّعَتْ، ثُمَّ طُبِخَ منها، ثُمَّ أَكَلْنَا قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ** ). رواه مسلم(٤٤)

وفي هذا الحديث دلالة عَلى التَّبْكيرِ لِصَلاةِ العَصرِ. وفيه: تَواضُعُ النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وإجابته للدعوة ، لتحصل البركة بحضوره .

**وفي الحث على (قيام الليل) ، حتى لو كان ذلك بأقل القليل من الصلاة ؛ لما فيها من الأجر العظيم ، ورد ما يلي :**

**عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال: تذكرت قيام الليل فقال بعضهم: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ( نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة )** (٤٥).

فقوله : ( فواق ناقة، فواق حلب شاة ) كناية عن قصر المدة وهي المسافة بين الحلبتين .

**وفي مجال الحثّ على (الجهاد) ، وبيان فضله ، جاء أن المقاتلة في سبيل الله ولو مدة قصيرة توجب لصاحبها الأجر الكبير..**

**وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم :**

**( من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنّة )** (٤٦). سنن الترمذي

(فُوَاقَ ناقةٍ) أي: مِقدار الوقتِ الَّذِي يكونُ بينَ الحَلْبَتَيْنِ(٤٧) ، والمُرادُ به: الوقتُ القليلُ.

# الخاتمة

لقد دار هذا البحث في مباحثه الثلاثة، حول تقدير الوقت في الحديث النبوي، وجاء تقسيم المباحث بحسب الوسائل التي استخدمت في هذا التقدير ، وقد أبرز البحث جماليات أسلوب هذه الوسائل من خلال تحليل النصوص النبوية تحليلا بلاغيا جماليا . وتوصلت فيه إلى النتائج التالية :

- أن الألفاظ الزمانية وتقدير الوقت وقياسه له أهميته الخاصة ، حيث كان موضع اهتمام الباحثين قديما وحديثا ؛ لارتباطه بتقلبات الظواهر الطبيعية التي تمسّ حياة الانسان بشكل مباشر أو غير مباشر .
- ارتبط تقدير الوقت وقياسه في الحديث النبوي، بمعتقدات المسلمين وشعائرهم الدينية ، فارتبط ببعض أركان الإيمان، مثل اليوم الآخر وقرب قيام الساعة ، كما ارتبط ببعض أركان الإسلام، من صلاة وصيام وغيرها من عبادات ..
- اعتمد تقدير الوقت في الحديث النبوي ، على ضرب المثل للتقريب والتوضيح وبيان المقدار ، كما اعتمد على الظواهر الطبيعية لتقسيم الزمان كحركة الشمس والقمر وتعاقب ساعات الليل والنهار ، إضافة إلى تقدير الوقت بأعمال البدن ، كما هو الحال عند العرب ، كمقدار حلب شاة وفواق ناقة ونحر جزور ، وقراءة عدد من آي القرآن .
- تناول الحديث النبوي تقدير الوقت ببلاغة مؤثرة ، فهو موضوع ثريّ بمعانيه ودلالاته، وتعدد صيغه الجمالية، واشتماله على ظواهر بيانية وبديعية متنوعة.
- كان من أبرز الأساليب البلاغية التي وردت لتقدير الوقت ، أسلوب التشبيه، الذي كان من أهم أغراضه بيان مقدار المشبه في القوة والضعف أو

الزيادة والنقصان، ثم يليه أسلوب الكناية، والتي تظهر المعنى في صورة حسّية ملموسة ، بدعم الدعوى بالدليل والقضية بالبرهان .

إضافة إلى استعمال التعبير النبوي التقسيم الزمني، باستخدام فنون البديع المختلفة، كالمقابلة والمطابقة والتقسيم .

## المراجع


١- أساس البلاغة : جار الله الزمخشري، دار صادر بيروت .

٢- أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني، قراءة محمود محمد شاكر، نشر دار المدني بجدة .

٣- الإفهام شرح عمدة الأحكام : شرح الشيخ عبد العزيز بن باز، تحقيق سعيد القحطاني، المكتبة الوقفية ط١.

٤- الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية ، ط ١.

٥- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي.

٦- ألفاظ الزمان في صحيح البخاري، دراسة نحوية دلالية، للباحث محمود محمد البيك، وهي رسالة دكتوراه، مقدمة للجامعة الإسلامية، بغزة عام ١٤٣٨هـ.

٧- ألفاظ الزمان في صحيح مسلم، دراسة نحوية دلالية، للباحث صدام محمد إسماعيل، وهي رسالة ماجستير، في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة ديالي بالعراق عام ١٤٣٥هـ.

٨- تنبيه الأفهام بشرح عمدة الإحكام، تأليف: محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الصحابة ومكتبة التابعين، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ.

٩- سنن الترمذي ( الجامع الكبير ) ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع بالرياض .

١٠- شرح الطيبي ، تحقيق عبد المجيد هنداوي، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز.

١١- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية .

١٢- صحيح مسلم ، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار طيبة بالرياض.
١٣- فتح الباري شرح صحيح البخاري : العسقلاني، دار المعرفة ـــ بيروت.
١٤- المثل السائر : ابن الأثير، تحقيق بدوي طبانة وزميله ،دار نهضة مصر.
١٥- المجازات النبوية: الشريف الرضي منشورات بصيرتي ، قم ، تحقيق وشرح طه محمد الزيتي الأستاذ بالأزهر .
١٦- المصنف: ابن ابي شيبة ، تحقيق كمال الحوت ط١ مكتبة الرشد بالرياض.

## البحوث والمقالات :

(١) بلاغة الخطاب وطرق الإقناع :( لغة الأحاديث النبوية غير اللفظية – نموذجا ) : الدكتور بن فريحة الجيلالي – المركز الجامعي – تيسمسيلت – الجزائر
(٢) وظائف اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي : محمد عبد الرحمن عطا الله ، بحث منشور في مجلة جذور العدد ٣٢ شوال ١٤٣٣هـ منشورات النادي الأدبي الثقافي بجدة .

## الهوامش والإحالات

(١) سورة الأنبياء آية ١

(٢) سورة الأحزاب آية ٦٣

(٣) سنن الترمذي ص ٤٣٨زقم الحديث ١٩١٨

(٤) بلاغة الخطاب وطرق الإقناع ( لغة الأحاديث النبوية غير اللفظية – نموذجا ) : الدكتور بن فريحة الجيلالي – المركز الجامعي – تيسمسيلت – الجزائر ص ٥

(٥) صحيح مسلم ، رقم الحديث ٢٩٨٣

(٦) صحيح مسلم، رقم الحديث ٢٦٣١

(٧) يراجع وظائف اللغة غير المنطوقة في الحديث النبوي : محمد عبدالرحمن عطا الله – ص ٨٤

(٨) إسناده صحيح ، رواه الحاكم في الكنى ،وذكره السيوطي في الجامع الصغير ، وقد أشار الألباني إلى صحته في صحيح الجامع برقم ٨٠٨

(٩) أساس البلاغة : جار الله الزمخشري ج١ ص ٦٣١

(١٠) المجازات النبوية : الشريف الرضي ص٣٤ –٣٥

(١١) المثل السائر : ابن الأثير ٨٢/٢

(١٢) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : الرافعي ٣٢٩–٣٣٠

(١٣) سنن الترمذي : رقم الحديث ٢٣٧٧ باب الزهد

(١٤) سورة الحديد آية ٢٠

(١٥) شرح الطيبي ( الكاشف عن حقائق السنن ) : ج١٠ ص ٣٢٩٠

(١٦) سنن الترمذي : الحديث رقم ٢٣٣٣

(١٧) شرح الطيبي : ج ٤ ص ٣٦٤

(١٨) ينظر الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ج ١ ص ١٦٩

(١٩) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ص ١٤٥

(٢٠) هذا حديث موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه أخرجه ابن شيبة في المصنف ، تحقيق كمال الحوت ، كتاب الزهد ١٠٧/٧

(٢١) أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني ص ١١٩-١٢٠

(٢٢) صحيح مسلم رقم الحديث ٧٥٢٠

(٢٣) شرح الكرماني لصحيح البخاري (٣٥/٢٢-٣٦ )

(٢٤) فتح الباري : ابن حجر العسقلاني ١٢١/١

(٢٥) سورة ق آية ٣٩

(٢٦) يراجع موقع الشيخ محمد العثيمين على شبكة الانترنت .

(٢٧) انظر البحث البلاغي عند ابن تيمية إبراهيم التركي دار اشبيليا ص٢٢٧

(٢٨) ألفاظ الزمان في صحيح البخاري دراسة نحوية دلالية :محمود محمد البيك ص ٣٣٤

(٢٩) الإيضاح في علوم البلاغة : الخطيب القزويني ٣٦/٤.

(٣٠) صحيح البخاري :رقم الحديث ١٩٥٤

(٣١) يراجع موقع الشيخ ابن باز على شبكة الانترنت .

(٣٢) فتح الباري: ١٩٨/٤.

(٣٣) سورة البقرة آية ١٨٧

(٣٤) صحيح مسلم، رقم:[ ٥١٢].

(٣٥) صحيح البخاري برقم:[٥٧٦].

(٣٦) تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام : للشيخ محمد العثيمين ص ٤١٩

(٣٧) الإفهام شرح عمدة الأحكام : شرح الشيخ عبد العزيز بن باز ص ٣٩١

(٣٨) صحيح البخاري رقم الحديث ٩٩٤

(٣٩) صحيح مسلم رقم الحديث ٧٣١

(٤٠) سورة الفرقان : آية ٢٤

(٤١) مرقاة المفاتيح : ٤٩٥/٣ وينظر شرح الطيبي : ١٢٨١/٤.

(٤٢) أخرجه البخاري (٥٥٠)، ومسلم (٦٢١)

(٤٣) صحيح البخاري الرقم: ٢٤٨٥

(٤٤) صحيح مسلم الرقم : ٦٢٤

(٤٥) رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح. ينظر (الترغيب والترهيب للمنذري) رقم الحديث ٩٢٧

(٤٦) سنن الترمذي حديث رقم ١٦٥٧

(٤٧) يراجع معجم مختار الصحاح : مادة ( فوق ) .